

المعالجة الصحفية لظاهرة التنصير

. دراسة حالة الجزائر -



الأستاذة هند عزوز

جامعة الجزائر

البريد الإلكتروني: Balssam17@yahoo.fr

مقدمة:

لقد عرف الجزائريون التنصير منذ أن داست جحافل الفرنسيين أرض الجزائر، ليكون وسيلة من وسائل الاستعمار الفرنسي في تثبيت دعائمه وتحقيق مطامعه الاستعمارية الاستيطانية والتوسعية، غير أن القائمين على التنصير لم يحققوا الأهداف المسطرة نظرا لارتباط عملهم هذا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني الاستعباد والاستغلال، ونظرا لظروف ذاتية وموضوعية اقترنت زمنيا بهذه الظاهرة. وبعد خروج الاحتلال الفرنسي بقيت المنطقة معرضة لنشاط المنصرين، غير أن الظاهرة عرفت بعدا آخر ونشاطا مكثفا في السنوات الأخيرة في ظل متغيرات محلية ودولية جعلت من التنصير " حقا لأقلية دينية " وأسفرت عن ردة مجموعة من الجزائريين عن دينهم بسبب الظروف المعيشية الصعبة؛ الأمر الذي

فتح باب النقاش على مصراعيه حول ظاهرة التنصير في الجزائر من حيث تاريخها وأهدافها والإقليم الجغرافي الذي تنشط فيه والاستشرافات المستقبلية للظاهرة، والطرق الكفيلة بمواجهتها. وكانت الصحف الجزائرية إحدى حلقات هذا النقاش من خلال نشر تفاصيل الظاهرة ومواقف الشخصيات النافذة منها وأسباب نشاطها ونظرا لأهمية الصحافة كمؤسسة من المؤسسات الفكرية والإعلامية المنتشرة فقد ارتأيت أن أتطرق في هذه الدراسة إلى طريقة الصحف الجزائرية في معالجة الظاهرة وموقفها منها.

أولا: إشكالية الدراسة وإطارها المنهجي:

تتعلق الدراسة من إشكالية رئيسية مفادها: كيف عالجت صحيفتا الخبر والشروق اليومي ظاهرة التنصير في الجزائر؟ على أننا نقصد بالتنصير: «إخراج المسلمين من الإسلام وإدخالهم في النصرانية» تندرج ضمنها مجموعة من التساؤلات الفرعية وهي:

. ما مدى اهتمام الصحيفتين بظاهرة التنصير من الناحية الشكلية؟

. ماهي الجوانب التي ركزت عليها الصحيفتان في نظرتها لظاهرة التنصير؟

. ماهي أهداف المنصرين من وجهة نظر الصحيفتين؟

. ماهي آثار ظاهرة التنصير في الجزائريين؟

. ماهي القيم التي تضمنتها معالجة الصحيفتين للظاهرة؟

وبهدف الإجابة عن هذه الإشكالية فقد ارتأيت أن أخضع عينة من الصحيفتين لمنهج تحليل المحتوى، وهي عينة عمدية ألجأ من خلالها إلى تحليل الأعداد التي أوردت تغطية خبرية للظاهرة خلال الربع الأول من سنة 2008(من شهر جانفي إلى مارس)، والتي وقع عليها الاختيار نظرا لحدثتها من جهة، كما أنها شهدت مناقشة هامة لظاهرة التنصير في الجزائر على المستوى السياسي والإعلامي من جهة ثانية، على أنه وقع اختيار عدد من كل صحيفة خلال شهر

واحد، وبهذا يكون لدينا ست أعداد . محل الدراسة . ثلاث منها متعلق بيومية الخبر، وثلاث أخرى متعلق بصحيفة الشروق اليومي؛ وهي أعداد كافية لرصد تغطيتها الإخبارية للظاهرة بحسب ما توصلت إليه الدراسة التي قام بها مجموعة من الباحثين والتي بينت أن زيادة حجم العينة إلى أكثر من 12 عددا بالنسبة إلى 312 عددا لا يؤدي إلى إحداث فروق واضحة في النتائج ومنذ نشر هذه الدراسة استخدم عدد من الباحثين العينات الصغيرة في دراسات تحليل المحتوى فدرس هاتشن (HACHEN) صفح الأحد خلال الفترة من 1939 إلى سنة 1959 واكتفى بثلاثة أعداد من كل سنة ، معللا ذلك بأنه إذا كان اختيار اثنا عشرة عددا يعتبر كافيا بالنسبة إلى 312 عددا في السنة فإن ثلاثة أعداد كافية لاثنتين وخمسين عددا أسبوعيا¹.

ثانيا: التصدير في ظل المتغيرات الدولية الحديثة:

تعد العولمة إحدى الأساليب التي تجلت من خلالها النزعة الغربية نحو السيطرة والاجتياح الذي يطمح إلى صب العالم داخل القالب الغربي على مختلف الصعد والميادين الاقتصادية والسياسية و الثقافية والعسكرية والدينية، التي تعني بتنصير الأفراد². فظاهرة التنصير ليست بالجديدة غير أن آلياتها وأهدافها تتجدد وفق معطيات الزمان، ومصالح الأفراد التي تديرها، فإن كان أهداف المنصرين عند احتلال الجزائر هو التمهيد له بهدف تثبيت أركانه فإنه يدخل . في وقتنا الحالي . ضمن إطار النظام العالمي الجديد الذي يهدف إلى التفكيك من ناحية وإعادة البناء من ناحية أخرى، بحيث يصبح المجتمع الدولي موحدا تجاه كل ما يسعى إلى الوقوف في وجه الهوية الكونية عن طريق تفكيك كل الهويات الفعالة

¹ محمد عبد الحميد: تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1979)، ص 111-112.

² محمد عمارة: مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية تاريخ الدخول: 2008-03-12

تاريخيا كالوطنية بوصفها هويات مثمرة وقادرة على التقدم، وعلى العكس من ذلك يسعى هذا النظام إلى تفعيل الهويات المنغلقة كالطائفية والإثنية والدينية والتي إن استمرت فإنها تشكل جماعات ثقافية مغلقة يشتعل الصراع فيما بينها وهو ما يسمى الآن بـ"الثقافية" التي يمثلها مجموعة من الباحثين في ألمانيا ، والتي تعمل على إبراز التمايزات الثقافية على ما عداها من صراعات اجتماعية اقتصادية، بإثارة الاهتمام بالأصول السلالية والطائفية والدينية، ومن ثم إبراز مشكلة الهوية الأصلية باعتبارها أبرز المشكلات من خلال طرح تساؤل: من نحن؟¹، والجدير بالذكر أهمية العقيدة الواحدة في لم شمل الأفراد، وصبغهم بطابع التوحد من أجل حمايتهم من التناحر الداخلي والتجزأ.

فالعقيدة هي القاعدة الصلبة التي تتأسس عليها الوحدة السياسية للأمة وعليه كان لابد من اعتماد إطار عقائدي عام يشكل القاعدة التي تقوم عليها الوحدة السياسية للأمة، وعلى هذا الأساس فإن المجتمع المسلم هو تجمع قائم على رابطة العقيدة الإسلامية والالتزام بمبادئ الوحي وقيمه، فهي تشكل المحيط الاجتماعي الإنساني الذي يسمح للفرد بممارسة الفعل الإيماني وتحقيق الغاية من وجوده، ذلك لأن القيمة لا يمكن أن تتحول إلى فعل وعمل إلا من خلال التفاعل والتعامل بين أفراد يتماثلون في تصورهم لمعنى الحياة وغاية الوجود ويلتزمون منظومة مشتركة من القيم وأنماط السلوك إذ من شأن الحياة الاجتماعية أن تصبح صعبة إن لم تكن مستحيلة بدون التمثل في إطار عقائدي وقيمي مشترك².

¹ أحمد برقاي وآخرون: الدولة الوطنية وتحديات العولمة في الوطن العربي، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 2004 ص ص 352، 353.

² لؤي صافي: العقيدة والسياسة معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية، ط1، دار الفكر، سوريا، 2001، ص ص 83، 103.

إن الخلفية الفكرية للعلومة الدينية (التنصير)، وأهدافها يمكننا فهمها من خلال كتابات المفكرين الأمريكيين وفي مقدمتهم: فرنسيس فوكوياما في كتابه: نهاية التاريخ (1992)، الذي يعكس وجهة نظر الدوائر السياسية والفكرية النافذة للغرب اتجاه العلومة، بدليل الدعم المعنوي الهائل الذي تلقاه الكتاب، والذي يتمحور حول فكرة رئيسية مفادها أن التاريخ انتهى بالفعل بانتصار الرأسمالية انتصارا كاسحا لا رجعة فيه، ثم أصدر فوكوياما (1996) كتابه الثاني بعنوان الثقة والذي يقرر من خلاله أن الثقافة الواحدة هي القاعدة الوحيدة للنجاح الاقتصادي والازدهار الحضاري، على أن المقصود من هذه الثقافة: الثقافة الأمريكية التي ينبغي ترسيخها بين الأفراد¹، ومن الوسائل الناجعة في ذلك التنصير.

فبعد زوال الاتحاد السوفياتي، أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية على الموجة الجديدة المتدفقة بعد انتهاء الحرب الباردة بـ " العلومة " أو " الأمركة"، وكان من أهم عناصر عمليات التقنين والتفلسف والتنظير هو البحث عن عدو جديد بعد اندثار الاتحاد السوفياتي، وليس بالضرورة أن يكون لهذا العدو كيان جغرافي محدد بل من الممكن أن يكون أي شيء آخر يدعو للرغبة ويثير الحماس، ويدفع دول الغرب لمواصلة التماسك والحركة والازدهار، ووجدوا بغيتهم في الدول الإسلامية التي صوروها على أنها مصدر للإرهاب والحركات العسكرية الجديدة -والقادرة على امتلاك القنابل النووية التي يمكن أن تدمر بها العالم ككل، ثم إنها وضعت المفكرين والفلاسفة الذين شرعوا في التقنين لها من أمثال: فوكوياما وصامويل هانتغتون وبرنارد لويس وبول كينيدي وتوماس فريدمان وغيرهم، ووضعت أجهزة دعايتها الجبارة تحت أمرهم حتى يصل صوتهم إلى كل أرجاء المعمورة².

¹ نبيل راغب: أفنعة العلومة السبعة، ط1، دار غريب، القاهرة 2001، ص ص: 377، 399.

² المرجع نفسه ص: 398.

وفي بداية التسعينيات طرح صامويل هانتغتون (الأستاذ الأمريكي بجامعة هارفارد) وجهة نظره حول طبيعة الصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة الذي ستحل فيه المواجهة بين الأديان محل الصراع بين الرأسمالية والاشتراكية؛ بحيث تكون الخطوط الفاصلة بين الثقافات المختلفة هي ذاتها خطوط المعارك المستقبلية وحدد هانتغتون الدور الأمريكي في حقبة "صدام الحضارات" بضرورة العمل على الدخول في تحالفات مع الثقافات المماثلة للثقافة الأمريكية ونشر قيمها ومبادئها كلما أمكن ذلك مع الحفاظ على احتمال المواجهة إن اقتضت الضرورة¹.

ويأتي احتمال المواجهة تحت ذرائع شتى ومنها القيام بـ"عمليات السلام" و"حماية الأقليات الدينية" التي تعاني من التضييق في ممارسة مهامها، وهي الأقليات التي تتكون بعد جهود المنصرين، فقد رفعت الكنيسة الكاثوليكية الغربية شعار إفريقيا نصرانية سنة 2000، فلما لم تحقق ذلك زحزحت التاريخ إلى سنة 2025. أما البروتستانتية الغربية فإن بروتوكولات قساوسة التصير بها قد تبلورت في مؤتمر كلورادو بأمريكا في ماي من سنة 1978، والتي جاء فيها: «إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تتناقض مصادره الأصلية مع أسس النصرانية، والنظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعيا وسياسيا، ونحن بحاجة إلى مئات المراكز للتركيز على الإسلام لفهمه ولاختراقه في صدق ودهاء»².

ثالثا: التصير في الجزائر بين الاحتلال الفرنسي ورياح العولمة:

لم يكن الاستعمار الفرنسي مجرد احتلال أراد أن يستوطن الأرض ويستغل خيراتها، ولكنه كان استعمارا ثقافيا ودينيا، فقد احتفظت الدول التي خضعت لأنواع

¹ المرجع نفسه ص: 399.

² محمد عمارة، المرجع السابق ص: 6.

أخرى من الاستعمار بوجود شكلي للدولة، والمؤسسات التقليدية الخاصة بالتعليم¹ والدين، أما بالنسبة للجزائر فقد كان تعلم اللغة العربية والدين الإسلامي أشبه بحرب العصابات. ذلك لأن قادة الاحتلال (8 سبتمبر 1830) أصدروا أمرا يقضي بالاستيلاء على الأوقاف الإسلامية التي تمول الخدمات الدينية والثقافية والاجتماعية للمسلمين الجزائريين بعد دخول مدينة الجزائر بشهرين فقط رغم الاتفاق المعقود عند تسليم مدينة الجزائر، والذي تعهد بموجبه الاحتلال باحترام الدين الإسلامي وأوقافه ومساجده، واحترام ملكية المواطنين وحريتهم الدينية، كما أمر قائد الحملة بالاستيلاء على أجمل جامع في المدينة وهو مسجد كيتشواوة، من أجل تحويله إلى كاتدرائية مسيحية، وأرسل خطابا للقسيس الذي رافق حملة الغزو يقول له فيه: «إنكم جنتم معنا إلى هنا لتفتحوا من جديد أبواب المسيحية في إفريقيا»².

وهكذا نشطت الإرساليات التنصيرية بتشجيع من العسكريين الفرنسيين كفرقة الإخوان والأخوات البيض، وإخوان المذهب الكاثوليكي إضافة إلى رجال الدين المسيحيين كالأسقف دبوش (Dupuch)³ ولافيجري الذي كان متقانيا في عمليات التنصير فكافأه البابا بيوس بتعيينه مندوبا للإرساليات التنصيرية في الصحراء (2 أوت 1868) وهكذا وسع نشاطاته، واشترى أراضى واسعة (نوفمبر 1868) بسهل شلف وأسس به قريتين فلاحيتين هما: قرية القديس سبريان والقديس مونيك. وعلى غرار ذلك قام لابي لاندونان (Labbé Londonan) بوضع مخطط لمشروع

¹ محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003 ص: 186.

² تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ط5، المؤسسة الوطنية للاتصال، 2001، ص 66.

³ عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، ط1، شركة دار الأمة، الجزائر، 1999 صص 67، 68.

استيطاني ديني في الجزائر مقمدا له في كتابه: « الضيعات في الأطلس الصغير » (Les fermes du petit Atlas) ومفاده أن الاستيطان في الجزائر لا يكون إلا بإصدار القوانين وتثبيت المؤسسات الدينية المسيحية وتعميم اللغة الفرنسية ونشر الفنون الأوروبية¹.

ثم عرف التنصير نشاطا مكثفا مع حلول العهد الجمهوري (1870) أين تأسست المدارس الدينية الخاصة في عهد الحاكم العام دوفيدون الذي عُرف بحقه على الإسلام إذ كان يعتبره السبب وراء الثورات والانتفاضات التي اندلعت ضد الاحتلال ثم جاء الحاكم شانزي الذي لم تختلف سياسته عن سياسة دوفيدون، ففرض رقابة شديدة على المعلمين والوعاظ والعلماء في إطار مشروعه بإعادة تنظيم المدارس الإسلامية لإعطائها الطابع الفرنسي المحض، ولم يكن يسمح لأي كان أن يفتح مدرسة قرآنية دون موافقة الوالي أو رئيس البلدية بعد إجراء التحقيق اللازم حول شخصية المدرّس².

لقد بذلت الحكومة الفرنسية جهودا جبارة لتنصير الجزائريين وليس أدل على ذلك من الإكثار من الكنائس المسيحية التي بلغت 327 كنيسة و 45 معبدا لليهود في مقابل 166 مسجدا فقط للمسلمين الجزائريين الذين قارب عددهم ستة ملايين نسمة³. وهي الجهود التي تركزت في البداية . في منطقة القبائل، ثم توسعت نحو مناطق أخرى كمنطقة الأوراس ما بين سنتي 1893 و 1900 ووصلت أواخر القرن 19 إلى مناطق الصحراء كمدينتي ورقلة والأغواط⁴، مستعملين في ذلك

¹ احميدة عميراوي: من تاريخ الجزائر الحديث، مطبوعات جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2000 ص ص 88، 90، 91.

² عبد القادر حلواش، مرجع سابق ص ص: 69، 70.

³ تركي رابح، مرجع سابق ص: 73.

⁴ عبد القادر حلواش، مرجع سابق ص: 71.

أساليب شتى ومستغلين الكوارث التي عاشها الشعب الجزائري كثغرات ينفذون منها إلى تحقيق أهدافهم، على غرار المجاعة الكبرى (1867.1868) التي استغلها أسقف الجزائر: الكاردينال لافيغري فأخذ يطوف بين الأنحاء التي فتكت بها المجاعة والأمراض والصليب في يمينه، والخبز والدواء في شماله وجمع طائفة كبيرة من الأيتام لتربيتهم في ظل الكنيسة¹. كما كان لكل جمعية تنصيرية منهجها فمنها من استغل الأراضي الزراعية ومنها من اهتم بالأطفال، ومنها من تركز عملها على الشيوخ والعجائز و منها من عمل داخل المستشفيات، ومنها من تخصص في تنصير النساء. غير أنها تشترك في هدف واحد وهو شل إرادة المقاومة عند الشعب الجزائري وتكوين جماعة تمدهم بما يحتاجون إليه من معلومات، إضافة إلى اتخاذ الدين رابطة تلغي ذاك الاختلاف القائم بين الجزائريين والفرنسيين بسبب اللغة والعرق، وصولاً إلى تأييد الاحتلال².

أما التنصير القائم في الجزائر بعد الاستقلال، والذي عرف نشاطاً مكثفاً في السنوات الأخيرة فإنه يهدف إلى تشكيل ورقة ضغط تمكن الإدارة الأمريكية من التحكم في المواقف الجزائرية إزاء القضايا التي هي محل خلاف بينهما، عن طريق تشكيل أقلية دينية تطالب بالانفصال كمرحلة أولية، ثم العمل على تحقيق هذا الانفصال لاندراجه في مخطط تقسيم الوطن العربي وتجزئته في مرحلة ثانية، وصولاً إلى إلغاء التأثير الديني والسياسي للجزائر على عموم إفريقيا كي يتسنى للإدارة الأمريكية التسلل والهيمنة عليها³.

¹ عبد الرحيم الجزائري، مرجع سابق ص: 2. محمد العلمي السائي: موقع المشاهد:

<http://www.elmouchahid.net> تاريخ الدخول: 16-03-2008.

² محمد العلمي السائي: موقع المشاهد: <http://www.elmouchahid.net> تاريخ

الدخول: 16-03-2008.

³ المرجع نفسه ص2.

وإذ تشير الإحصاءات الرسمية إلى أن عدد المسيحيين في الجزائر بلغ أحد عشر ألفا من جميع الطوائف، فإن جهود التنصير لم تقتصر على القاطنين بالجزائر بل طالت كذلك المهاجرين القادمين من فرنسا، مستهدفة شريحة الأطفال بوجه خاص، ومستعملة الوسائل السمعية البصرية، ومدونات مكتوبة وأقراص مضغوطة حول حياة المسيح بست لغات من بينها العربية الفصحى إضافة إلى عشر لهجات شمال إفريقيا منها العربية والشاوية والأمازيغية، أما الكتيبات فقد كتبت بعناوين جذابة تركز على القدرة على منح السعادة النفسية، وتغيير الحياة إلى الأفضل، وتقديم حياة المسيح بطريقة مشوقة من خلال عناوين من مثل: « نجار وأعظم » بطبعتين فرنسية وعربية وآخر بعنوان: « كلمني عن الله » وفي ذيله عبارة: « كيف تتغير الحياة؟ » و « أي شيء يمنح السعادة؟ »¹.

رابعاً: التنصير في الصحف الجزائرية بين الأمس واليوم:

عرفت الجزائر الإعلام المكتوب مع بداية الاحتلال الفرنسي الذي حمل معه مطبعة وهيئة تحرير تمكنه من إصدار جريدة تعمل على رفع معنويات جيشه الغازي ودعم احتلاله للجزائر فأصدر جريدة: بريد الجزائر « L'estafette d'Alger » باللغة الفرنسية والتي توقفت عن الصدور بعد العدد الثالث²، غير أن سلطات الاحتلال استمرت في إصدار صحف أخرى تثبت دعائمه وتنتشر أخباره، ومنها جهوده التنصيرية في البلاد. فبتحويل جامع كيتشاوة إلى كنيسة مسيحية، نشرت صحيفة «ورقة خبر الجزائر» (كذا) هذا الخبر بقولها: «...الجامع المعطى

¹ فضيل دليو: الصحافة المكتوبة في الجزائر بين الأصالة والتعريب، البصيرة، ع5، مركز البحوث والدراسات الإنسانية، الجزائر، 2000، ص 43.

² فضيل دليو: الصحافة المكتوبة في الجزائر بين الأصالة والتعريب، البصيرة، ع5، مركز البحوث والدراسات الإنسانية، الجزائر، 2000، ص 43.

للفرنساويين(*)... هذه الكنيسة الأولى منذ مدة أربع عشرة مائة سنة ولا كنيسة غيرها مستقامة في مصر أوفي بربريه... ونطلب من ربنا أن تصير كنائس أخرى...»¹.

والجدير بالذكر أن كل الصحف الصادرة إلى نهاية القرن 19 كانت فرنسية المصدر(*) ومع مطلع القرن العشرين بدأ جزائريون يصدرون الصحف مثل : كوكب إفريقيا(1907) وكوكب الشرق وفريضة الحج، وبعد الحرب العالمية الأولى صدرت صحف جمعية العلماء بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس²، والتي نلاحظ بشأنها مجموعة من المميزات أهمها:

أ- غزارة المادة الإعلامية.

ب- عمق الوعي بقضايا المجتمع الجزائري والعالم الإسلامي في الطرح والتحليل.

ج- التعب الشخصي لرجال المهنة، وما كانوا يكابدونه في الميدان من أجل إخراج الجريدة معبرة عن معاناة الشعب الجزائري³، وضاربة بتحليلاتها ومعالجاتها في جذور واقعه المعيش، ومن ذلك جهود الصحف في مقاومة الحرب الصليبية التي شنها الاستعمار بأعماله التنصيرية، وهكذا نقرأ لمحمد البشير الإبراهيمي في البصائر قوله: « جاء الاستعمار الدنس إلى الجزائر يحمل السيف والصليب، ذلك

(*) نقلنا النص كما ورد عن صاحبه نقلا عما ورد في الصحيفة، ولغة الكتابة دليل على ركافة اللغة من جهة، واستخدام اللهجة العامية بهدف وصول الرسالة الإعلامية إلى أذهان الناس.

¹ حميدة عميرواي، مرجع سابق ص ص 87-88 نقلا عن: ورقة خبر الجزائر، ع 52، مركز البحوث 1833م.

l'Afrique française, le brûlot, courrier d' Afrique, l'étoile d' Afrique, من مثل:

(*) أنظر: فضيل دليو مرجع سابق، ص ص 43-44. la sentinelle républicaine

² المرجع نفسه ص 44.

³ محمد هيشور: «بين الوطنية والإسلامية في الجزائر، البصيرة، ع 6، 2001، ص 69.

للتمكن وهذا للتمكين ولو وقف عند حدود الدنيويات لقننا تلك طبيعة الاستعمار الجائع تدفعه الشهوات إلى اللذات فيجري إلى مداها ويقف، وتدفعه إلى الحيوانية فيلتقم ولا ينتقم، ولكنه كان استعمارا دينيا مسيحيا عاريا وقف للإسلام بالمرصاد من أول يوم وانتكح حرمانه من أول يوم...وتدخل في شعائره بالتضييق والتشريد، كل ذلك يروج مسيحية -رومانية تشع بالحقد وتقور بالانتقام، ولم يكتف بذلك حتى احتضن اليهودية وحمى أهلها»¹.

ونظرا لنجاح الحركة التربوية والتوعوية لجمعية العلماء في إفساد خطط المنصرين، فقد شنت عليها الحكومة الفرنسية حربا شعواء ووضعت أعضائها من علماء الوعظ والإرشاد والتدريس في المساجد التي تقع تحت إشرافها، ثم أصدر وزير داخليتها "شوطان" قرار (8 مارس 1938) ينص على اعتبار اللغة العربية: لغة أجنبية في الجزائر، لا يجوز تعلمها ولا تعليمها² وقد قابلت صحف الجمعية هذا القرار باستنكار شديد فكتب عبد الحميد بن باديس مقالا تحت عنوان : « ياالله! للإسلام والعربية في الجزائر»، مقارنة فيه بين تعامل الاحتلال مع العربية والإسلام من جهة، وتعامله مع النصرانية وسائر الأديان من جهة أخرى قائلا:« بينما غيرهم من معلمي اللغات والأديان والمروجين للنصرانية في السهول والصحاري والجال...في أمن وأمان، بل في تأييد بالقوة والمال وهم الذين (المعلمون الجزائريون) إذا طالبوا الرخص بكل ما يلزم للطلب أجيبوا بالسكوت والإعراض، أو أعلن لهم بالرفض، لغير ما سبب من الأسباب»³.

ومن الصحف التي أولت اهتماما بعملية التنصير أسبوعية البلاغ (24 ديسمبر 1926) التي كانت تصدرها الطريقة الصوفية العلوية بمدينة مستغانم

¹ محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، دار المعارف، القاهرة، 1964، ص 55.

² تركي رايح، مرجع سابق، ص 434.

³ جريدة البصائر، قسنطينة، 8 أبريل 1938، ص 1.

والتي كان شعارها: (وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) [التوبة 105].

فقد تحدثت عن خطر المنصرين لا سيما: "الآباء البيض" الذين سعوا إلى تنصير الجزائريين في القرى والبوادي والصحاري، يقدمون للصغار الحلويات ولفقراء الثياب والطعام وللمرضى العلاج والدواء، ومما جاء في عددها 296، (09/06/1933): « كنا نشرنا في العدد الفارط مقالا تحت عنوان: " نهضة الجزائر الإصلاحية» أتيننا فيه كون العمل على معارضة رجال الزوايا ومحاوله القضاء على مشروعهم هو إرضاء (كذا) بانتصار التبشير بإفريقيا الشمالية، على أننا نعتقد كون موقف رجال الزوايا يزاحم دعاة التبشير بطبيعة الحال، ولو لم يكن القصد منه ذلك، وكيف وهم العاملون على بث التعاليم الإسلامية في المواطن النائية وفي غير المسلمين فضلا عن المسلمين»¹.

ثم استمر دور الصحف الجزائرية في التحذير من خطر التنصير إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية، أين انصهرت مهام الصحف في توحيد جهود الشعب مع جبهة التحرير الوطني في إسماع صوت الثورة والعمل على نجاحها وبث أخبارها إلى غاية الاستقلال؛ حيث طغى على الصحف مهام اضطبغت بطابع المرحلة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها البلاد من جهة، وبطبيعة الصحف من حكومية وحزبية وخاصة من جهة ثانية، وهي المرحلة التي تميزت بضالة التنصير وخفوت صوته إلى غاية السنوات الأخيرة التي عرفت فيها البلاد تغيرات داخلية وتأثرا بالمتغيرات الدولية داخلية بذلك مرحلة التعددية الإعلامية و التي اتسمت بكفالة حرية التعبير وحرية الممارسة الإعلامية بعد سن دستور فيفري 1989. وهنا نلاحظ على الصحف الجزائرية تناولها لظاهرة التنصير، فنقرأ في

محمد الصالح آيت علجت: صحف التصوف الجزائرية (1929-1955)، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص ص 94-95.

بعض أعداد الشروق العربي (ع453، ماي 2001) تحت عنوان: «حقائق الحركة التنصيرية في الجزائر» أنه «لا يمكن فهم حركة التنصير القائمة اليوم إلا بالرجوع شيئا ما إلى التاريخ لأن حركة التنصير القائمة الآن في بلاد القبائل، وفي غيرها ليست وليدة اليوم بل هي حركة لها امتداداتها داخل جوف الاستعمار الفرنسي»، ويربط الكاتب بين المحاولات الساعية إلى القضاء على اللغة العربية، وتهميش مادة التربية الإسلامية وإلغاء قانون الأسرة وبين الأهداف التي تتجه نحو فرنسا المجتمع الجزائري وإطلاق يد المنصرين وإحياء ثقافة الكنيسة الإفريقية، وتأصيل الوجود المسيحي في الجزائر، وكلها أهداف استعمارية قديمة جديدة تمارس اليوم باسم الانفتاح وحوار الحضارات وعدم التعصب.

وإذا كان موقف الشروق العربي المعارض لجهود المنصرين واضحا، فإنه ليس مشتركا بينها وبين سائر الصحف التي يرى بعض المراقبين أنها تنقسم إلى صف ليبرالية لا تعارض موجات التنصير التي تحمل - حسب رأيها - مشروع حياة وليس موت، وهو المشروع الذي يؤسس «العلاقة الحرة بين الإله والعبد» ويدعو إلى التسامح ونشر الفضيلة، مستدلين بأن الجزائريين الذين نهلوا من «مشروع الحياة هذا»، لم يتورطوا في قضايا حمل السلاح ضد وطنهم وأبناء بلدهم. أما القسم الثاني من الصحف التي عالجت ظاهرة التنصير فإنها تبنت البعد العربي والإسلامي للمجتمع الجزائري، وكتبت مقالات تحذر المجتمع الجزائري من خطر سلخه عن دينه، وتدعو إلى وضع حد لنشاط المتورطين في حملات التنصير مما أدى حسب بعض الملاحظين - إلى إقرار السلطات الجزائرية قانونا يحظر الدعوة لاعتناق دين آخر غير الإسلام وينص على إنزال عقوبات بالسجن لمن يحاول دعوة مسلم إلى اعتناق دين آخر بهدف حظر النشاط الديني وحملات التنصير السرية.

خامسا: الدراسة التحليلية:

5- 1 التعريف بصحيفتي الخبر والشروق اليومي:

. التعريف بصحيفة الخبر:

تعتبر يومية الخبر أول يومية عربية خاصة صدرت سنة 1990، وهي من أكثر الجرائد الجزائرية سحبا إذ بلغت نسب سحبها ما لا يقل عن 600 ألف نسخة نهاية سنة 2007، و بلغ متوسط سحبها السنوي: 4530810 نسخة لسنة 2010 حسب إحصائيات أوجي دي¹. وقد تحولت جريدة الخبر إلى مؤسسة كبيرة تقدم إلى جانب اليومية عددا من الملاحق والأسبوعيات بالإضافة إلى تنظيم دورات تدريبية لرجال الإعلام، وتقديم جائزة سنوية تحت اسم جائزة الخبر التي تقدم إلى إعلاميين من داخل الجزائر وخارجها ، كذلك اتجهت الصحيفة إلى التوزيع خارج الجزائر وخاصة في فرنسا قصد الوصول إلى الجالية الجزائرية والمغربية بصفة عامة².

التعريف بالشروق اليومي:

تأسست صحيفة الشروق اليومي في الثاني من نوفمبر من سنة 2000، تمثلت أهدافها في تشكيل مؤسسة إعلامية تلبي حاجة الجزائريين إلى إعلام مكوّن وممتع، وعلى الرغم من أن صحيفة الشروق حديثة النشأة إلا أنها وصلت إلى أرقام سحب معتبرة في السنوات الأولى من تأسيسها. إذ بلغت أرقام سحبها حوالي 242145 نسخة في ماي 2007. وارتفعت إلى 741 ألف نسخة (30 أوت 2009)³ وبعد شهرين قفز رقم سحبها ليتعدى الملي¹ نسخة (14 نوفمبر 2009)².

¹ سليمان بوصوفة: الجزائريين التشيع والتتصير ونار الفتنة، تاريخ الدخول: الأحد 16

مارس 2008، <http://www.elaph.com>.

² قناة الجزيرة: حملات التتصير في الجزائر تستهدف الأطفال، مرجع سابق ص 1-2.

³ سفيان بوعيايد 01 . 09 . 2011، ص: 1. تاريخ الدخول: 16 . 11 . 2011

أما الخط الافتتاحي للجريدة فإن الناظر بعين الفحص إلى محتواها وإلى تصريح مديرها العام (عند إجراء المقابلة سنة 2004) يلحظ أنها غالبا ما تدافع عن مقومات الشخصية الوطنية، والمتمثلة في الإسلام والعروبة والوحدة الوطنية.

5-2 فئات التحليل:

تتقسم أجزاء المادة الإعلامية-محل الدراسة- إلى فئات حتى يسهل قياسها وعدّها وبناء تصور واضح عنها، وهو ما يسمى في الأدبيات المنهجية بفئات التحليل التي تعني العناصر الرئيسية أو الثانوية التي يتم وضع وحدات التحليل فيها كلمة أو موضوع أو قيم³ وتنقسم بدورها إلى فئات :

فئات المضمون:

تتدرج ضمنها فئات فرعية والتي اخترنا منها -بحسب طبيعية هذه الدراسة- وتساؤلاتها وأهدافها فئة الموضوع والشخصيات الفاعلة والقيم ووسائل الإقناع.

فئة القيم: يقصد بالقيم الأحكام التي يصدرها الإنسان على شئ ما، وفي هذه الدراسة وقع تحديد القيم التي اقترن ظهورها بالتغطية الصحفية لظاهرة التنصير، والتي كان بعضها إيجابيا مثل: القوة والتحدي والعلم وبعضها، سلبيا كالعدوانية والتمويه والعمالة.

فئة الاتجاه: وهي الفئة التي يتم على ضوءها تحديد اتجاه محتوى المادة

<http://www.elkhabar.com/ar/autres/press/263620.html>

¹ محمد شطاح: قضايا الإعلام في زمن العولمة (الجزائر: دار الهدى، 2006) ص124.

² جمال لعلامي: الشروق تتخطى 740 ألف نسخة 31 أوت 2009 تاريخ الدخول: الأربعاء

16 نوفمبر 2011. <http://www.medias-algerie.com/?p=614>

³ فضيلة مختاري: الشروق تواصل ملحمة تحطيم الأرقام، ص:1؛ تاريخ الدخول: 16-11-

2011 <http://www.echoroukonline.com/ara/divers/44340.html>

بالنظر إلى الرموز الإيجابية والسلبية الحاضرة في المحتوى¹ وعلى هذا الأساس يمكننا تحديد الاتجاهات الآتية:

الاتجاه المؤيد: وهو التركيز على الجوانب الإيجابية بدرجة أكبر من الجوانب السلبية.

الاتجاه المحايد: وهو الذي يعرض الجوانب الإيجابية والسلبية بنفس الدرجة.

الاتجاه المعارض: وهو التركيز على الجوانب السلبية بدرجة أكبر من الجوانب الإيجابية.

فئة الشخصيات الفاعلة: ونقصد بها الشخصيات الفاعلة التي ظهرت في المعالجة الإعلامية لظاهرة التنصير في صحيفتي الخبر والشروق اليومي.

فئة وسائل الإقناع: يستخدم القارئون بالاتصال وسائل الإقناع من أجل إقناع القارئ بالمعاني المكتوبة. وتتنوع هذه الوسائل ما بين أدلة عقلية واستمالات عاطفية وتأكيد، واستعمال للإحصائيات والأرقام وذكر للمصدر وتأكيد على مصداقيته وكلما كانت الوسائل متنوعة، وحاضرة في المحتوى الإعلامي كان ذلك أكثر دلالة على اهتمام المرسل بالرسالة الإعلامية المكتوبة، ويمكننا تحديد الفئات الداخلة ضمن وسائل الإقناع بما يأتي:

. تأكيد مصداقية المصدر . تكرار ذكر المصدر . استعمال الإحصائيات والأرقام . الاستشهاد.

5-2 فئات الشكل:

وهي الفئات التي تعيننا في تحديد الأشكال التي وردت في قالبها المعالجة الصحفية لظاهرة التنصير، وقد وقع الاختيار . في هذه الدراسة . على فئتي الموقع والصورة الصحفية.

فئة الموقع: وهي من الفئات التي توضح مدى الاهتمام بعرض الموضوع

¹ رشدي طعيمة: تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية، دار الفكر العربي، ص62.

حيث دلت الدراسات التي اهتمت بتحديد الصفات الأكثر مقروئية على أن الصفحة الأولى تأتي في المقدمة تليها الصفحة الأخيرة ثم الصفحة الثالثة ثم صفحتا الوسط فبقية الصفحات، كذلك حددت الدراسات الأهمية النسبية لكل ركن في الصفحة فالنصف العلوي أهم من السفلي والربع الأعلى الأيسر في الصفحة اليسرى بالجريدة الناطقة باللغة العربية أهم أجزائها والصفحات اليسرى أهم من الصفحات اليمنى¹.

وبعد النظر في المادة الإعلامية الواردة بالصحف-محل الدراسة-فقد تم تحديد الفئات التابعة لفئات الموقع على النحو الآتي:

. الصفحة الأولى . الصفحة الأخيرة . الصفحة الثالثة . الصفحات الداخلية..

أما أركان ورود التغطية الصحيفة فقد وقع تحديده كما يأتي:

-أعلى-وسط-يمين- يسار- على اعتبار أن الأركان العليا أهم من الأركان السفلى، والأجزاء الواقعة يسار الصفحة أهم من الأركان الواقعة على يمينها.

فئة الصورة الصحفية ودلالاتها: غالبا ما تستعمل الصحف الصورة الصحفية بهدف تجسيد المعاني المراد توصيلها وجذب القارئ إلى المحتوى، ونظر لأهمية هذا النوع الصحفي فقد ارتأينا التطرق إلى مضمونه بالتحليل على أن يقع هذا الأخير وفق سياق المحتوى الذي اقترن به.

3-5 وحدات التحليل: وهي وحدات المحتوى التي يمكن إخضاعها للعد والقياس بسهولة ويعطي وجودها أو غيابها دلالات تفيد الباحث في تفسير النتائج الكمية لأغراض البحث وفروضة²، وبما أن بناء المحتوى يبدأ بالفكرة ثم يتم اختيار

¹ المرجع نفسه، ص ص65-66.

² ريتشاد بن وآخرون، تر: محمد ناجي الجوهري : تحليل مضمون الإعلام المنهج والتطبيقات العربية، مديرية المكتبات والوثائق، 1992، ص140.

الوحدات اللغوية للتعبير عنها، فقد تم الأخذ بعين الاعتبار الفكرة الواردة سواء وردت في كلمة، وكانت الكلمة مفصحة عن المعنى المراد أو وردت في جملة أو فقرة بحيث لا يتم فهم معنى الفكرة المراد توصيلها إلا من خلال قراءة الجملة أو الفقرة التي وردت بها، وإذا نتج عن عملية العد تبايناً في النتائج، فإننا نستخدم مجالات القياس بهدف إيضاح هذا التباين.

5-6 القراءة الكمية والكيفية لنتائج تحليل صحيفة الخبر:

أثبتت الدراسة التحليلية لأعداد صحيفة الخبر أنها عالجت ظاهرة التنصير بالتطرق إلى المجال الجغرافي للتنصير بأكثر نسبة (21.24%) وهذا بتركيز الحديث على بلاد القبائل وأن أغلب المنتصرين بها إيطارات، وأن الكنائس الناشطة بها غير معتمدة من طرف الدولة وأن التنصير بها فاشل -بناءً على تصريحات رسمية- نظراً لقوة الوعي الإسلامي إضافة إلى الحديث عن الطوائف المسيحية المنتشرة بها.

أما ثاني موضوع تطرقت إليه الصحيفة فتتمثل في الحديث عن الأقلية المسيحية بالجزائر (17.69%)، بتصويرها في وضعية المحتج على الأوضاع السائدة والمتسمة بالتضييق عليها في مجال الحرية الدينية بأكثر نسبة (52.5%) ثم النظر إليها من جانب أنها تملك غطاء قانونياً وسياسياً لحمايتها بنسبة (20%)، ثم الحديث عن مطالب هذه الأقلية والمتمثلة في المطالبة بإقامة دولة لائكية في الجزائر (12,5%) من أجل ضمان حق حرية المعتقد، كما تحدثت عن عدد مسيحيي الجزائر ومطالبهم الأخرى والمتمثلة في المطالبة بتحسين ظروفهم والاعتراف بهم كأقلية بالنسبة نفسها (5%).

أما الموضوع الثالث الذي استأثر باهتمام الصحيفة فتتمثل في الحديث عن أسباب زيادة عدد المنتصرين وهي الأسباب التي أرجعتها جريدة الخبر بالدرجة

الأولى إلى ضعف الخطاب الديني الإسلامي (31,25%) ممثلا في: الخطاب المسجدي وخطاب العلماء (31,25%)، ثم الفراغ الثقافي والعلمي (15,62%) ثم الأسباب المادية ونشاط الكنيسة البروتستانتية. ولأن سكان القبائل يتميزون بالتسامح وقبول أفكار الآخرين . بناء على تصريحات مسؤول الكنيسة . بالنسبة نفسها (12.5%)، كما أرجعت الأسباب إلى ضعف الجهاز التربوي وتخلف المسلمين وضعف الوعي الديني بنسب متفاوتة وضئيلة.

كذلك فإن صحيفة الخبر تطرقت إلى مواجهة التصير بالحديث عن الأطراف الرئيسية التي اضطلعت بهذه المهمة والتي تمثلت في السلطات الدينية بالدرجة الأولى (51.61%) ثم جمعية العلماء (35.48%) ثم المجلس الإسلامي الأعلى (3.22%)، مقرة في الوقت ذاته أن مواجهة التصير هي مسؤولية العالم الإسلامي ككل (9.67%).

وكان الموضوع الخامس الذي غطى اهتمام الصحيفة هو الحديث عن وسائل التصير بنسبة (13,27%)، مرجعة أهم هذه الوسائل إلى نشاط الكنائس (26,67%)، ثم الإغراء المادي بالوظيفة وتأشيرة الدخول إلى بلدان أجنبية بنسبة (16,66%)، ثم الأعمال الخيرية بنسبة (13,33%)، ثم الاستثمار تدعيما للكنائس بنسبة (6,67%). كما نسجل نوعا من التذبذب في موقف الصحيفة من الإغراء المادي إذ تقره حيناً وتتعرض له بالنفي حيناً آخر حيث أقرت أن الكنائس لا تستعمل الإغراء المادي بنسبة (3,33%)، وبحساب الفرق بين النسبتين نجد أن الخبر ترجح كفة استعمال الإغراء بنسبة (13,33%).

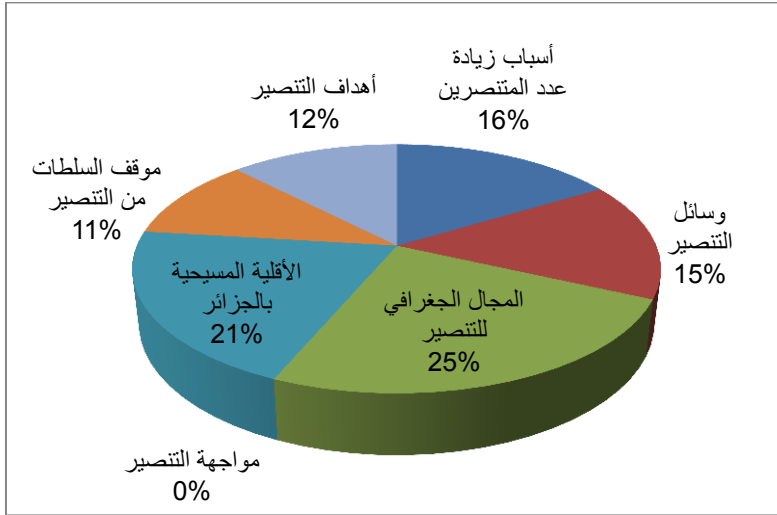
أما الموضوع السادس الذي تطرقت إليه الخبر فقد تمثل في الحديث عن أهداف التصير بنسبة (10.62%). وهي الأهداف التي تمحورت حول: التشكيك في الشعائر الإسلامية بنسبة بالغة (40,91%) تليها محاربة الإسلام (36,36%) ثم تشتيت الوحدة الوطنية (13,64%)، ثم تحقيق أهداف بعيدة المدى وإدخال

الجزائريين إلى النصرانية بالنسبة نفسها (4,54%).

ويمكننا أن نمثل المواضيع سابقة الذكر بنسبها من خلال الرسم التمثيلي

الآتي:

رسم بياني رقم (01) يوضح مواضيع التنصير الواردة بجريدة الخبر



وأما عن فئة القيم فقد أثبتت الدراسة أن صحيفة الخبر أظهرت جمعية العلماء متمسمة بأكبر نسبة من القيم الواردة (71,43%)، وقد أظهرتها مستاءة بالدرجة الأولى (25%)، وقوية بالدرجة الثانية (17,86%)، ثم عدوانية ولها صفة التحدي وتؤمن بحرية المعتقد للآخرين بالنسبة نفسها (7,14%)، كما أظهرتها تحمل قيمة الغيرة على الدين ومسالمة بنسبة (3,57%).

حظيت الكنيسة البروتستانتية كذلك بنسبة من القيم قدرها (10,71%)، وقد تمثلت هذه القيم في العنف والعمالة للخارج والتطرف بنسب ضئيلة ومتساوية بلغت (3,57%)، كما تحدثت صحيفة الخبر عن مواقف الأحزاب السياسية التي اتسمت بالسلبية بنسبة (7,14%)، وعن موقف السلطات الجزائرية الذي اتسم بحفظ مبدأ حرية المعتقد بالدرجة الأولى (7,14%)، ثم السلم والغموض بالدرجة نفسها والتي

عكستها نسبة (3,57%).

-وبشأن فئة الاتجاه فقد ظهر اتجاهان بارزان في المعالجة الصحفية لجريدة الخبر، وهما معارض ومؤيد، وأثبتت القراءة التحليلية أن الخبر كانت معارضة بنسبة مساوية للتأييد، وتوزع هذا الاتجاه بين المعارضة للتصير بنسبة معتبرة (57,14%)، ثم المعارضة لموقف جمعية العلماء والكنيسة البروتستانتية والتدخل الأمريكي في الشؤون الجزائرية الداخلية بالنسبة نفسها، والتي بلغت (7,14%)، وهذا في معرض حديثها عن المساجلة الكلامية الواقعة بين الكنيسة البروتستانتية في الجزائر وجمعية العلماء بعد دعوة هذه الأخيرة الكنيسة إلى مناظرة علمية، فدل هذا الاتجاه على موضوعية الصحيفة التي نقلت آراء مختلف الأطراف دون التحيز لإحداها.

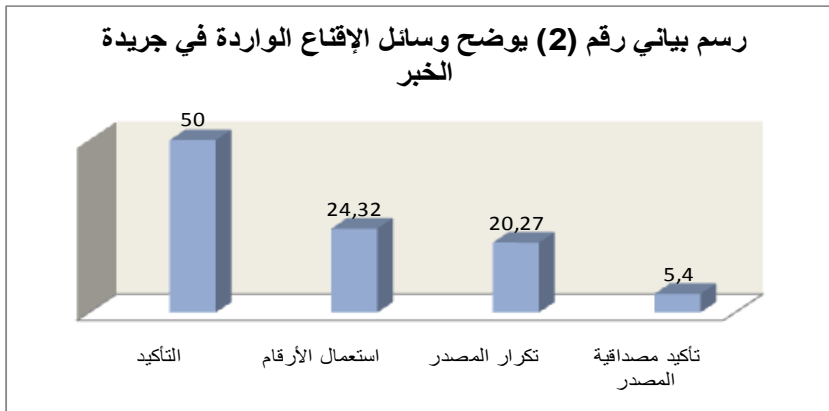
أما الاتجاه المؤيد فقد توزع بين تأييدها لموقف السلطات الجزائرية بأكبر نسبة (71,42%)، ثم تأييدها لمسيحيي الجزائر وتدريس التربية الإسلامية للمسيحيين في المدارس الجزائرية بالنسبة نفسها (14,28%)، مما يدل على أن الصحيفة تفرق بين مسيحيي الجزائر كأقلية لها الحق في ممارسة حرية المعتقد دون ضغوط، وبين التصير كعملية مقصودة يراد من خلالها تحقيق أهداف بعيدة المدى أبرزها إحداث الانفصال وضرب الوحدة الوطنية والتي من مظاهرها: تأسيس مدارس خاصة للمسيحيين.

-وبالنظر في فئة الشخصيات الفاعلة فقد تبين أن رئيس الكنيسة البروتستانتية ظهر بشكل كبير بنسبة بلغت (27,39%)، يليه رئيس جمعية العلماء عبد الرحمن شيبان (23,29%)، ثم وزير الشؤون الدينية (2,73%)، على الرغم من أن قطاع الشؤون الدينية هو المعني بالدرجة الأولى بظاهرة التصير، مما يوحي بعدم اهتمام الصحيفة بشخصيات السلطات الرسمية، وهو ما يفسر بكونها صحيفة خاصة معارضة تهتم بالجمعيات غير الحكومية أكثر من اهتمامها

بالشخصيات الرسمية، وهو ما يفسر كذلك قلة ظهور رئيس المجلس الإسلامي الأعلى على الرغم من الطبيعة الدينية لهذه الهيئة، والذي بلغ ظهوره نسبة (1,37%).

وإذا أخذنا سائر الشخصيات التي ظهرت مجتمعة، والتي تحدثت معها صحيفة الخبر فإننا نجد أن أغلبها شخصيات جزائرية (27,39%) وهذا لمحلية القضية، ثم شخصيات أمريكية (9,59%)، ثم فرنسية (5,47%)، نظرا لارتباط الظاهرة بالمتغيرات الدولية الحديثة، حيث وقعت اتصالات بين ممثلين عن الطائفة المسيحية وبين شخصيات فرنسية، إضافة إلى مساءلات للسفير الأمريكي بالجزائر حول "اضطهاد مسيحيين".

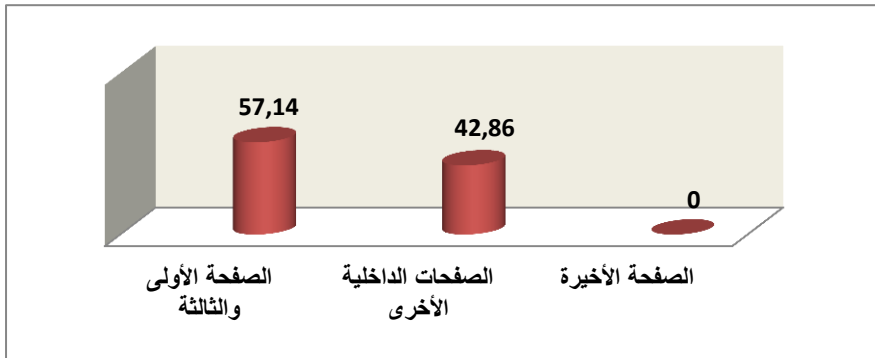
-وأما عن وسائل الإقناع التي استخدمتها صحيفة الخبر فتمثلت في تأكيد أقوالها بالدرجة الأولى (50%)، ثم إيراد الإحصائيات (24,32%) ثم تكرار المصدر بنسبة (20,27%)، ثم تأكيد مصداقية المصدر (5,4%)، بوصف المصادر بأنها "حسنة الإطلاع" و "موثوقة". ويمكننا أن نستعرض وسائل الإقناع الواردة بصحيفة الخبر من خلال الرسم البياني الآتي:



أسفرت نتائج تحليل فئات الشكل عن اهتمام صحيفة الخبر بالتغطية الصحفية لظاهرة التنصير، بدليل إيرادها بالصفحات الأكثر مقروئية، وهي

الصفحات الأولى والثالثة بأكثر نسبة بلغت (57,14%) ثم بالصفحات الداخلية الأخرى والتي بلغت (42,86%)، أما بالنظر إلى أركان الصفحات التي ضمت الحديث عن التنصير، فإننا نجد اهتماما نسبيا بالظاهرة بدليل ورودها في الركن العلوي بنسبة كبيرة بلغت (28,57%) والركن العلوي أهم من الوسط الذي وردت التغطية به بنسبة (14,28%)، كما أنها أوردت التغطية بالجانب الأيمن بنسبة (42,86%)، ولم تول أهمية بالجانب الأيسر الذي ورد بنسبة (14,28%)، على الرغم من أهمية هذا الركن.

وبهدف إيضاح الصفحات التي تضمنت المعالجة الصحفية لظاهرة التنصير بجريدة الخبر، فإننا نستعرض ذلك في الشكل البياني الآتي:



رسم بياني رقم (3) يوضح الصفحات التي وردت بها المعالجة الصحفية لظاهرة التنصير بيومية الخبر.

. كما أظهرت نتائج تحليل مضامين الصورة الصحفية أن جريدة الخبر تستشرف مستقبل ظاهرة التنصير متوقعة أنها ستعرف انتشارا في السنوات اللاحقة (50%)، كما أبرزت التنصير من خلال صورة الإنجيل والصليب بالنسبة نفسها، وهي الصورة التي تحمل للجزائريين الكثير من المعاني، إذ أن صورة الصليب غير محببة لهم، وغالبا ما تمثل تذكيرا بالاستعمار، إضافة إلى صورة رئيس جمعية العلماء المسلمين وهو مستغرب مساءلة السفير الأمريكي بالجزائر حول وضعية

الأقلية المسيحية؛ وهكذا نجد دلالات الصورة الصحفية متناسقة مع ما توصلت إليه نتائج قياس الاتجاه الذي أظهر معارضة يومية الخبر للتصوير.

5-4- القراءة الكمية والكيفية لنتائج تحليل صحيفة الشروق اليومي:

أثبتت نتائج تحليل فئات المضمون أن صحيفة الشروق اليومي تناولت وسائل التصوير بأكبر نسبة بلغت (31,49%)، والتي تحدثت من خلالها عن الأعمال الخيرية كوسيلة لجذب الجزائريين نحو المسيحية بـ(17,5%)، ثم استعمال الوسائل الإعلامية والتعليمية بالنسبة نفسها (15%)، ثم نشاط القنوات الفضائية للتصيرية بـ(12,5%)، ثم الإغراء المادي والعاطفي بـ(5%)، وأخيرا المطبوعات بـ(2,5%).

- تناولت جريدة الشروق موضوع "مواجهة التصوير" في الدرجة الثانية بلغت (29,92%)، وهي المعالجة التي أقرت فيها أن جمعية العلماء هي أكثر الأطراف مواجهة للتصوير بنسبة بلغت (84,09%)، وأنه ينبغي الاهتمام بالمرأة وإعطائها مكانتها اللائقة من الناحية العلمية والعملية من أجل مجابهة التصوير بنسبة (13,64%) ثم المجلس الإسلامي الأعلى بنسبة (2,27%).

- وكان الموضوع الثالث الذي استأثر بصحيفة الشروق اليومي هو موضوع "أهداف التصوير" بنسبة (17,32%)، وهي الأهداف التي تلخصت في محاربة الإسلام والتشكيك في الشعائر الإسلامية بنسبة (31,82%)، ثم تغريب المرأة المسلمة وسلخها عن قيمها الإسلامية بنسبة (22,72%)، وتحدثت بشكل ضئيل عن تشييت الوحدة الوطنية بنسبة (13,63%).

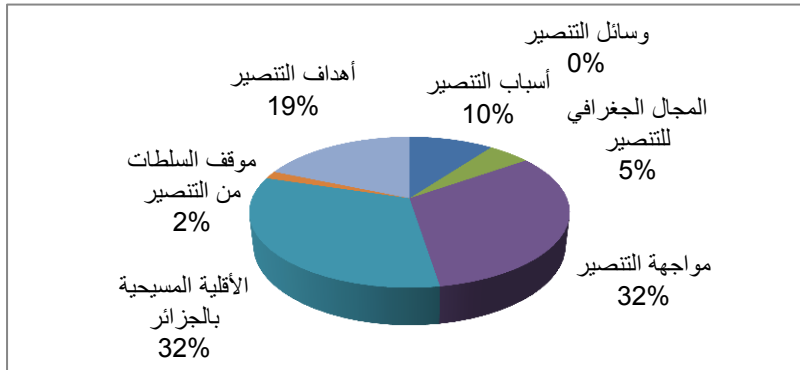
وكان الموضوع الرابع هو الحديث عن "أسباب التصوير" بنسبة (9,45%)، وقد تمثلت هذه الأسباب في قصور نظرة المسلمين إلى المرأة مما أحجم دورها عن مجابهة التصوير ثم رغبة المنصرين في خدمة النصرانية، وكذا نشاط الكنيسة البروتستانتية بالنسبة نفسها (8,33%).

أما الموضوع الخامس، فهو الحديث عن "الأقلية المسيحية بالجزائر" بنسبة (5,52%)، والتي صورتها الشروق اليومي على أنها تحتج على أوضاعها وتطالب بأفضل الظروف التي تكفل لها حرية المعتقد. ثم المجال الجغرافي للتصير بالحديث عن بلاد القبائل بنسبة (4,73%)، وجاء إيراد موقف السلطات الجزائرية من التصير بأخفض نسبة بلغت (1,57%)، وهذا راجع إلى طبيعة الصحيفة كونها خاصة، لا تهتم بمواقف السلطات الرسمية، كما يعود تركيزها على وسائل التصير وسبل مواجهته إلى تجاه الصحيفة وخطها الافتتاحي المتسم بدعم الثوابت الوطنية والذي جعلها تهتم بتشخيص ظاهرة التصير والحديث بإسهاب عن أنجع السبل الكفيلة بمواجهتها؛ والتي رأت الصحيفة أن أنسبها إعادة تجسيد تجربة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وإعطاء المرأة المسلمة المكانة اللائقة لها في المجتمع، وإشراكها في نشر مفاهيم الإسلام الصحيحة.

ويمكننا أن نمثل المواضيع سابقة الذكر بنسبها من خلال الرسم التمثيلي

الآتي:

رسم بياني رقم (4) يوضح مواضيع التصير الواردة بجريدة الشروق اليومي



. أما بالنظر إلى القيم التي تضمنتها المعالجة، فإننا نجد أن جمعية العلماء هي الأخرى حازت على أكبر القيم بنسبة بلغت 50%، وكانت كلها قيما إيجابية ما عدا قيمة التشدد التي ظهرت بنسبة ضئيلة (2,63%) لترتفع النسبة مع التحدي

(5,26%)، ثم الغيرة على الدين والعلم بالدرجة نفسها (7,89%) وترتفع درجة ظهور قيمة القوة وتكريس حرية المعتقد ارتفاعا كبيرا بنسبة (26,31%).

-أما سائر القيم، فقد توزعت على ظاهرة التنصير، التي اقترنت بالتمويه بنسبة (26,31%)، ثم قناة الحياة التنصيرية التي أصبغت عليها الشروق اليومي قيمة التمويه أيضا بنسبة (10,52%)، ثم موقف السلطات الجزائرية التي ظهرت بمظهر من يكرس حرية المعتقد، والكنيسة الكاثوليكية التي اقترنت بقيمة الاضطهاد، والأقلية المسيحية التي ترى الشروق بشأنها أنها تستحق حقوقها كأقلية، والحديث عن التنصير الذي ترى بشأنه أنه مبالغ فيه وأنه يتسم بالتهويل والتضخيم، وهذه القيم ظهرت بنسبة واحدة تقدر بـ(5,26%) لكل منهما. أما القيم التي اقترنت بالحديث عن الكنيسة البروتستانتية، فتمثلت في: الادعاء (2,63%)، وأنها تعمل في سرية (2,63%)، مما يولد انطباعا بأن الشروق اليومي لا تضع الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية في سلة واحدة، فإن كانت تعارض نشاط الكنيسة البروتستانتية فإنها لا ترى ما يريب في نشاط الكنيسة الكاثوليكية.

وقد توصلنا إلى النتائج نفسها بتحليل المعالجة الإعلامية وفق فئة الاتجاه، حيث ظهرت الشروق اليومي معارضة (57,14%) أكثر مما ظهرت مؤيدة (42,85%) للقضايا الواردة في التغطية، وقد توزع تأييدها على ثلاث مسائل أساسية:

-تأييد الرئيس السابق للأقلية المسيحية بالجزائر (11,11%)، والذي طرد منها بعد أكثر من أربعين سنة من العمل فيها، وهو ما علقت عليه الشروق اليومي بأنه "إجحاف في حقه".

-تأييد مسيحيي الجزائر بنسبة (77,77%)، والتي ترى الشروق أنهم لا يشكلون خطرا على الجزائر ولا مصدرا من مصادر تهديد وحدتها الداخلية، على الأقل في الوقت الحالي.

-تأييد الكنيسة الكاثوليكية (11,11%)، والتي ترى بشأنها أنها تمارس مهامها عادية دون أن تتجاوز الخطوط الحمراء.

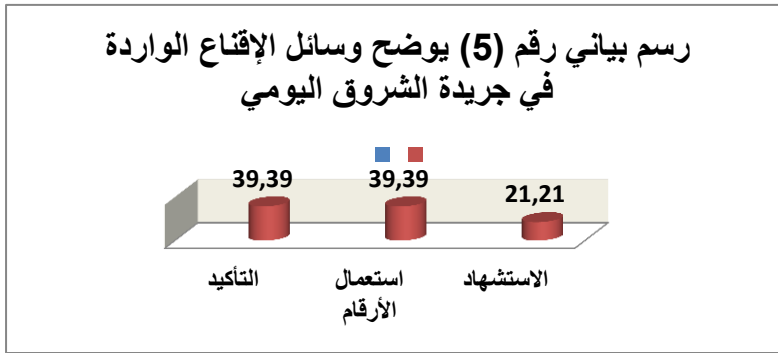
أما معارضة يومية الشروق، فقد توزع على موضوعين هما:

-معارضة حملة مواجهة التنصير بنسبة كبيرة بلغت (91,67%)، مما يوحي بوجود نوع من التناقض الذي مفاده معارضتها التنصير بدليل اقتران ظهوره بظهور القيم السلبية (التمويه) كما مر معنا سابقا، والحال أن سبب ذلك لا يعود إلى التناقض، وإنما مرده إلى أن الشروق اليومي دأبت على إتاحة مساحة لمجموعة من الأقلام المعروفة كي تبدي رأيها وتدلي بدلوها في القضايا المستجدة، وهي الأقلام التي يعبر أصحابها عن قناعاتهم الخاصة والتي تختلف فيما بينها، وقد تخالف ما يكتبه صحفيو الشروق كما حدث في حالتنا هذه، أين نجد مقالا بتوقيع "عابد شارف" والذي أقر من خلاله أن الحديث عن التنصير مبالغ فيه، وحملة مواجهته مفتعلة وأن مسيحيي الجزائر ليسوا بأعداء، ولكنهم مواطنون عاديون يملكون حرية المعتقد...

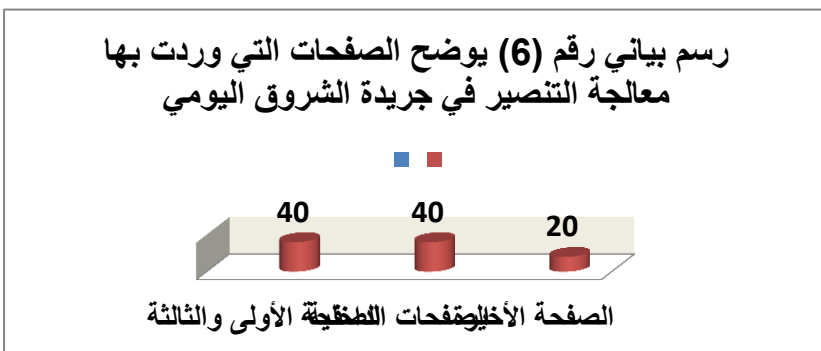
أما عن الشخصيات الفاعلة، التي ظهرت، فقد كانت شخصيات جمعية العلماء بأكبر نسبة (46,94%)، ثم رئيس الكنيسة البروتستانتية (18,37%)، ثم شخصيات مسيحية والتي تمثل أغلبها في منسق قناة الحياة التنصيرية، ثم شخصيات جزائرية أخرى (8,16%)، ثم رئيس جمعية العلماء عبد الرحمن شيبان (6,12%)، ثم أحمد ديدات وبابا الفاتيكان بالنسبة نفسها (4,08%)، وهكذا تكون جمعية العلماء بشخصياتها هي الأكثر ظهورا، ثم شخصيات الكنيسة البروتستانتية، وهذا راجع إلى اهتمام الصحيفة بنقل المساجلة الكلامية والدعوة إلى المناظرة العلمية والرد عليها بين الطرفين.

أما وسائل الإقناع، فتمثلت بالدرجة الأولى في استعمال الأرقام والإحصائيات (39,39%)، والتي أوردتها الصحيفة في معرض حديثها عن وسائل

التنصير، من معاهد ومدارس وعدد الأناجيل... وكذا أسلوب التأكيد بالنسبة ذاتها (39,39%)، ثم الاستشهاد بآيات قرآنية وأحاديث نبوية وأقوال لكتّاب مشهورين واستحضار وقائع تاريخية (21,21%)، وهو ما يمكن توضيحه من خلال الرسم البياني الآتي:



أما النظر إلى الصفحات التي وردت بها معالجة الظاهرة، فقد أظهر اهتمام الصحيفة بها بدليل ورود المعالجة في الصفحات الأكثر مقروئية بنسبة معتبرة تقدر بـ 60% للصفحات الأولى والأخيرة والثالثة في مقابل (40%) للصفحات الداخلية، وهو ما يمكن إيضاحه من خلال الشكل البياني الآتي:



أما الأركان التي وردت بها التغطية، فقد كانت الأركان العليا (40%)، واليمين (30%)، ثم الوسط (20%) واليسار (10%) مما يوحي باهتمام نسبي

للظاهرة بالنظر إلى هذه الفئة.

إضافة إلى ما سبق ذكره، فإن يومية الشروق لم تول عناية كبيرة للصورة الصحفية، حيث أوردتها مرتين في الأعداد محل الدراسة-، كما أنها لم تورد التنوع في مضامين الصورة التي احتوت شخصية رئيس جمعية العلماء: عبد الرحمن شيبان.

الخاتمة

مما سبق استعراضه من نتائج يمكننا أن نجري مقارنة بين المعالجة الإعلامية لظاهرة التنصير في الخبر ونظيرتها في الشروق اليومي، على أن نحدد المقارنة في أوجه التشابه وأوجه الاختلاف.

أوجه التشابه:

-اتفقت يوميتا الخبر والشروق اليومي في مجموعة من الخصائص مردها إلى طبيعة كل منهما كونهما صحيفتين غير حكوميتين، ولهذا نجد كلا منهما لم تركز على مواقف السلطة الجزائرية من التنصير، ولم تبرز أي منهما شخصيات دينية رسمية بشكل معتبر.

-اتفقت الصحيفتان على الاهتمام بظاهرة التنصير من الناحية الشكلية، بدليل إيرادهما للمعالجة في الصفحات الأكثر مقروئية، كما اتفقتا في تركيز الحديث على بلاد القبائل إذا نظرنا إلى المجال الجغرافي للظاهرة على الرغم من نشاط الظاهرة المميز في مناطق أخرى من البلاد، لاسيما منطقة الصحراء.

-اتفقت الصحيفتان على نسبة القيم الإيجابية إلى جمعية العلماء، التي اقترن الحديث عنها بقيم من مثل: التحدي والقوة والعلم والغيرة على الدين وتكريس حرية المعتقد، ولم ترد القيم السلبية إلا نادرا والتي تمثلت في قيمة التشدد التي

ظهرت في الشروق اليومي والعدوانية التي ظهرت في الخبر بنسب ضئيلة جدا.

أوجه الاختلاف:

تباينت الصحيفتان في أسلوب عرض ظاهرة التنصير بالنظر إلى مجموعة من النقاط والتي نوجزها في الآتي:

- اختلفت الصحيفتان في تحديد مفهوم التنصير، حيث تطرقت الخبر إلى التنصير باعتباره إخراج المسلمين من الإسلام إلى النصرانية بدليل ورود هذا المفهوم في فئة الأهداف؛ في حين نظرت إليه الشروق اليومي على أنه إخراج المسلمين من الإسلام دون أن يعني ذلك إدخالهم في النصرانية.

- تميزت الخبر بموقفها الواضح، حيث عارضت التنصير وأيدت الأقلية المسيحية في الجزائر، كما امتازت بنقل مواقف مختلف الأطراف المعنيين بالظاهرة، سواء منهم أعضاء جمعية العلماء أو ممثلي الكنيسة البروتستانتية وكذا مجموعة من المنتصرين الجدد، كما بدت متشائمة من مآل التنصير، مستشرفة آفاقه المستقبلية، بتقريرها أن التنصير يعرف نشاطا واسعا، وأنه لا يُستبعد قدوم اليوم الذي تشتد فيه شوكة المنتصرين الجدد ليطالبوا بالانفصال الذاتي.

- أما صحيفة الشروق، فإن إتاحتها لمجموعة من الأقلام للكتابة على صفحاتها أوقعها في شيء من الارتباك وأظهرها بمظهر المتناقض مع الذات، وذلك راجع إلى كون بعض تلك الأقلام لم تتوافق مع خط الصحيفة وموقفها من التنصير، مما جعلها تكتب آراء معارضة لحملة مواجهة التنصير، والتي كانت يومية الشروق إحدى أقطابها، دون أن تكتب عبارة : «ما يكتب في هذه الصفحة لا يعبر بالضرورة عن موقف الصحيفة من الأحداث»، كما هو معمول به في وسائل إعلامية أخرى، كما أنها لم تتطرق البتة إلى آفاق التنصير المستقبلية.

- أرجعت يومية الخبر أسباب زيادة عدد المنتصرين إلى ضعف الخطاب الديني (الإسلامي) ممثلا في الخطاب المسجدي وخطاب العلماء؛ في حين

أرجعته الشروق اليومي إلى قصور النظرة إلى المرأة المسلمة.

-تحدثت صحيفة الخبر عن مجابهة التنصير مركزة الحديث على الأطراف التي تواجه الظاهرة، والتي تمثلت في السلطات الدينية ثم جمعية العلماء، لكنها لم تول اهتماما بالوسائل الكفيلة بالتصدي للظاهرة؛ في حين أن صحيفة الشروق اليومي أولت اهتماما بالغا بالمرأة الجزائرية المسلمة ودورها في مكافحة الظاهرة وربطت هذا بمكانتها في الإسلام، كما أقرت أن المرأة هي إحدى وسائل التنصير وأهدافه وعيا من المنصرين بأهميتها، وحددت الشروق اليومي الأطراف التي تواجه التنصير في: جمعية العلماء أولا ثم المجلس الإسلامي الأعلى ثم السلطات الدينية (وزارة الشؤون الدينية).

-استشهدت يومية الشروق بالآيات والأحاديث وأقوال المفكرين والأعلام ومنهم أقطاب جمعية العلماء، في حين أهملت الخبر هذا الجانب وركزت في أساليب إقناعها على تأكيد مصداقية المصادر التي تأخذ عنها، والتأكيد على المعاني المراد توصيلها، وتكرار ذكر المصدر المستقى منه.

-لم تول يومية الشروق أهمية للصورة الصحفية من الناحية الكمية والكيفية، بدليل إبرادها للصورة الصحفية مرتين فقط، والتي كانت مشتملة على صورة رئيس جمعية العلماء، في حين اهتمت الخبر بهذا الجانب فكانت الصور حاضرة بمختلف معانيها ودلالاتها وهي الدلالات التي اتسقت مع مضمون المادة الإعلامية الذي اقترنت به.

